

غنى الروح ومنفعة الآخرين

تتميز عظات القديس مكاريوس الكبير، والملقب بالابلس الروح، بالتشبيهات الجميلة النابعة من خبرة شخصية حياة مع الروح القدس.. في هذا المقال، انتقيت لكم هذا التشبيه البديع، من العظة الثامنة عشرة.. والكلام يناسب جدًا الكهنة والخُدام والعاملين في حقل التعليم الروحي.. إذ يركز القديس مكاريوس في هذا التشبيه على أهمية أن يغتني الإنسان بالروح أولاً، قبل أن يحاول أن يُطعم الآخرين روحياً!!



+ إذا كان إنسانٌ غنيٌّ يريد أن يصنع وليمةً فاخرة، فإنه يصرف من ثروته والكنز الذي يملكه.. ولأنه غنيٌّ جدًا، فإنه لا يخاف من عدم كفاية أمواله لتجهيز كلِّ لوازم الوليمة. وهكذا فإنه يُكرم الضيوف الذين دعاهم، ببذخ وأبهة، واضعاً أمامهم أنواعاً كثيرة من المأكولات وبأحدث أنواع التجهيز.

+ وأما الفقير الذي ليس عنده مثل هذا الغنى، فإنه إذا رغب في عمل وليمة لأصدقاء قليلين، فإنه يضطر أن يستعير كلَّ شيء، من الأواني والأطباق والمفارش وكلَّ شيء آخر. وبعد ذلك حينما تنتهي الوليمة، ويخرج المدعوون، فإنه يُعيد كلَّ الأشياء التي استعارها إلى أصحابها، سواء أطباق فضة أو مفارش أو أي أشياء أخرى.. وهكذا حينما يُرجع كلَّ شيء، يظلُّ هو نفسه فقيراً وعرياناً إذ ليس له غنى خاص يُعزِّي به نفسه.

+ بنفس الطريقة، فإن أولئك الذين يكونون أغنياء بالروح القدس، الذين عندهم الغنى السماوي حقاً، وشركة الروح في داخل نفوسهم، فإنهم حينما يكلمون أحداً بكلمة الحق أو حينما يتحدثون بالأحاديث الروحانية، ويريدون أن يُعزِّوا النفوس، فإنهم يتكلمون ويُخرجون من غناهم ومن كنزهم الخاص الذي يمتلكونه في داخل نفوسهم. ومن هذا الكنز يُعزِّون ويُفرحون نفوس الذين يسمعون أحاديثهم. ولا يخافون أن ينضب معيّنهم، لأنهم يملكون في داخلهم كنز الصلاح السماوي، لذلك يأخذون منه ليُعزِّوا ويفرحوا ضيوفهم الروحيين.

+ أما الفقير الذي لم يملك غنى المسيح، وليس عنده الغنى الروحي في داخل نفسه، الذي هو ينبوع كلِّ صلاح، سواء في الأقوال أو الأعمال أو الأفكار الإلهية والأسرار التي لا يُعبّر عنها. فحتى إذا أراد هذا الفقير أن يتكلم بكلمة الحق، ويعزِّي بعض سامعيه، بدون أن ينال في نفسه كلمة الله بالقوة والحق، فإنه يكرّر من الذاكرة، ويقتبس فقط كلمات من أجزاء مختلفة من الكتاب المقدس، أو مما سمعه من الرجال الروحيين، فيخبر ويعلم بها الآخرين.. وهكذا يظهر كأنه يُعزِّي ويُفرح الآخرين، والآخرين يبتهجون بما يُخبرهم، ولكن بعد أن ينتهي من الكلام تعود كل كلمة إلى مصدرها الأصلي الذي أخذت منه، ويبقى هذا الإنسان ويعود كما كان عرياناً وفقيراً لأن ليس له كنز الروح الخاص به، ليأخذ منه ويُعزِّي ويفرح الآخرين، إذ أنه هو نفسه لم يتعزَّ أولاً ولا ابتهج بالروح.

+ لهذا السبب ينبغي لنا أولاً أن نطلب من الله باجتهاد قلب وإيمان، حتى يهبنا أن نجد في قلوبنا هذا الغنى، أي كنز المسيح الحقيقي بقوة الروح القدس وفاعليته. ولهذا فعندما نجد الرب أولاً في نفسنا، لمنفعتنا أي للخلاص والحياة الأبدية، فحينئذ يمكننا أن ننفع الآخرين أيضاً إذ يصير هذا ممكناً، لأننا نأخذ من المسيح الذي هو الكنز الموجود في داخلنا، ونُخرج منه كلَّ الصلاح الذي للكلمات الروحانية، ونكشف أمامهم أسرار السماء.

(القمص يوحنا نصيف)

fryohanna@hotmail.com